دراسة المضامين الدينية في شعر أحمد محرم

١.الدكتور نعيم عموري، أستاذ مشارك في قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة شهيد تشمران أهواز-إيران

(الكاتب المسؤول) naim_amouri@yahoo.com

الجمهورية الاسلامية الإيرانية- محافظة خوزستان- أهواز- جامعة شهيد چمران أهواز- كلية الإلهيات والمعارف الاسلامية- رقم البريد ٦١٣٥٧٨٣١١١. رقم الموبايل ٠٠٩٨٩١٦٣٠٧٢٣٨٢

٢.الدكتور ولي بهاروند، أستاذ مساعد في قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة شهيد تشمران اهواز-إيران

٣.حميده السادات أنوشه، ماجستير اللغة العربية وآدابها بجامعة شهيد تشمران اهواز-إيران

الملخّص:

تُؤثّر المفاهيم والمضامين الدينية في مختلف مراحل حياة الفرد وحياة المجتمع وهذا التأثير إما أن يكون مباشراً أو غير مباشر. وفي الشعر الديني هناك مضامين يتتبعُها الشعراء العرب مثل العبادة، والتوحيد، والبعثة النبوية، وتبليغ الرسالة، وأذى المشركين، واستقامة الرسول (ص)، ومعجزات النبي، والهجرة، والغزوات. وبالنظر إلى أعمال الشعراء الملتزمين ومع تتبع أشعارهم نصل إلى هذه النتيجة أنّ أكثر العبارات والجمل المستخدمة وأيضا الاستدلالات الموجودة في أشعارهم هي إقتباس مِن القرآن الكريم، أو أحاديث النبي الأكرم(ص) وأحداث صدر الإسلام. أحمد محرم أحد الشعراء المعاصرين المصريين والذي تجلّت المضامين الدينية في ديوانه مجد الإسلام. ترنو هذه المقالة إلى التعريف بهذا الشاعر العملاق الذي لم يهتم الباحثون بشعره ثم دراسة المضامين الدينية في ديوانه مجد الإسلام. ومما توصلت إليه المقالة حول شعر أحمد محرم أنّه استفاد من ذوقه الأدبي وفنّه الراقي في توظيف التعاليم القرآنية والسيرة النبوية في تصوير الغزوات النبوية والصحابة الكرام وعلى رأسهم الإمام علي -عليه السلام- في تثبيت شجرة الإسلام. وهكذا وُفّق الشاعر بتصوير السيرة النبوية بصورة صحيحة.المنهج المتّبع في هذه المقالة توصيفي-تحليلي.

الكلمات الرئيسة: المضامين الدينية؛ أحمد محرم؛ ديوان مجدالاسلام؛ النبي الأكرم (ص)، الإمام علي(ع).

Study of religious contenders in the poetry

Ahmed Moharram of

:BY

DR،Naeem Amouri،Associate Professor Department of Arabic Language and Literature

Shahid Chamran University of Ahvaz

Assistant Department of Arabic Language and Literature ،DR, Vali Baharvand

Shahid Chamran University of Ahvaz

Hamideh alsadat Anosheh, Masters of Arabic Language and Literature

Shahid Chamran University of Ahvaz

:Abstract

Religious concepts and themes have had obvious, hidden, direct, and indirect influences on the individual and the social life of Muslims at various stages. In the field of religious poetry, as well as the categories of worship and theism, components like the beginning of the Prophet's invitation to Islam and His attempt to convey His mission, the impediments by the idolaters, the persistence of the Prophet's companions, prophetic miracles, Hegira, Battles (Ghazavat), and etc. have been always the subject of attention by some Arab poets and scholars. With a glimpse at the works of religious elder literature scholars in Arabic poetry, we can find that many of the phrases and arguments in their poems are either adapted or inspired by the

Holy Quran, the words of the Prophet (PBUH), and the historical events of the early Islamic period. Ahmad Muharram is one of the contemporary Egyptian poets whose manifestation of religious themes in his Divan of Majd Al-Islam is clear and obvious.This article initially attempts to present a biography about this anonymous poet and then try to study the religious themes of the poems in the Divan of Majd Al-Islam.What can be learned from his poetry is that the poet, using literary taste and poetic sensibility, could successfully picture the role of Quranic teachings, prophetic character, and the Prophet's [PBUH] and His companions' endeavours in flourishing the seed of Islam and He's in this way been successful in depicting a quite complete view of the prophetic character.

Key words:Religious contenders, Ahmed Moharram, Diwan the glory of Islam, The Holy Prophet, Imam Ali.

المقدمة:

دراسة المضامين الدينية المعبّر عنها في آيات القرآن الكريم والدقائق الكامنة فيها من المسائل التي تؤكد عليها الروايات والتعاليم الإسلامية متخذة حياة الشخصيات الدينية والأئمة بعين الإعتبار. إنّ هذه المضامين، تعتبر معيناً غنياً للعلماء والشعراء المسلمين في كل البلدان وعند الشعوب المسلمة. الانتباه لهذة المسألة بادية للعيان في الأطوار المتعددة لتاريخ الأدب العربى خاصة وأن الشعر والأدب تأثرا كثيراً بعد ظهور الإسلام بالنصوص الدينية. من جهة أخرى في الأدب المعاصر حاول كثير من الشعراء العودة لحفظ الهوية الإسلامية والدينية بالبلدان الإسلامية متمسكين بتعاليم الدين الحنيف.

في العصر الراهن ونهايات القرن التاسع عشر الميلادى مع إنتشار الصحوة الفكرية في المجتمعات الإسلامية، كانت حركة السيد جمال الدين الأفغانى (الأسد آبادى) تمهيداً لتوعية الناس من منطلق ديني. إن هذا الإتجاه الذي كان يهدف إلى إثراء تفكير المسلمين أمام الغربيين، جاء بفكرة الحكومة الإسلامية الموحدة لمواجهة الإستعمار الغربي وقد نَهَلَ مِن معين هذا الفكر كثير من الشعراء والأدباء الملتزمين فجاءت مضامين متعددة في آثارهم كالكفاح السياسي والدفاع عن الإسلام أمام التهم والأفكار الزائفة التي تحارب الدين وكذلك المدائح النبويّة. قام الشعراء بالتعبير عن عواطفهم عند وقوع الأحداث والمصائب التي تنال وطنهم وكل ذلك بنكهة إسلامية وحاولوا أن يعبّروا عمّا يعتقدونه في إطار الأحداث الجارية في بلادهم بلغة الشعر.

أحمد محرم، وأحمد شوقي، وحافظ إبراهيم، ومحمود سامي البارودى، والرصافي وغيرهم كانوا مِن أبرز شعراء هذا العصر الذين زينوا أشعارهم بالمضامين والأفكار الدينية. يدافع رصافي في قصيدته «يقولون» عن الإسلام وعن الدين والعلم والترقي:

يقولون في الإسلام ظلماً بأنَّهُ يَصُدُّ ذويه عَن الطَريق التَقدُّمِ

فإنْ كانَ ذا حقّاً فكيفَ تقَدَّمَت أوائلُه في عهدِها المتقدَّمِ

و إنْ كان ذنبَ المسلمِ اليومَ جهلُه فماذا علي الإسلام مِن جَهل مُسلمِ

كانت المدائح النبوية من الأغراض التى نشاهد في أشعار محمد سامى البارودى وأحمد شوقى و .. . يمدح سامي البارودي النبي(ص) في قصيدته مسماة بـ « كشف الغمة في مدح سيد الأمة»:

يَا رائِدَ البَرقِ يَمِّمْ دارَةَ العَلَمِ وَ احْدُ الغَمَامَ إلَى حَيٍّ بذِي سَلَمِ

و إن مَرَرْتَ عَلَى الرُّوْحَاءِ فَأمْرِ لَهَا أَخْلَافَ سارِيَةٍ هَتّانَةِ الدِّيَمِ

مِنَ الغِزَارِ اللوَاتِي فِي حَوَالِيهَا رِيُّ النَّوَاهِلِ مِنْ زَرْعٍ وَ مِنْ نَعَمِ

إذَا إسْتَهَلَّتْ بِأرْضٍ نَمْنَمَتْ يَدُهَا بُرْداً مِنَ النُّوْرِ يَكسُو عَارِي الأَكمِ

إستلهم الشعراء من الآيات القرآنية والأحاديث أيضا. مثلا أحمد محرم في شعره يشير إلى الآية المباركة (وَلا تَحسَبَنَّ الَّذينَ قُتِلوا في سَبيلِ اللَّهِ أَمواتًا بَل أَحياءٌ عِندَ رَبِّهِم يُرزَقونَ)ويقول:

هُم عِندَ ربِّك يُرزَقُونَ فَحَيِّهِمْ وَصِفِ الحياةَ لأنفُسٍ تَهوَاها

أحمد محرم مِن الشعراء الذين استلهموا كثيراً مِن معانيهم من المفاهيم الدينية. وقد كان معاصراً لأحمد شوقي وحافظ إبراهيم وبالرغم من طاقاته الشعرية وأدبه الثّر لقد غُمر ذكره بواسطة الشعراء المعاصرين ولم يحظ بالشهرة التي تليق به. لأحمد محرم ديوان غنيّ تحت عنوان «مجد الإسلام» يروي فيه الشاعر حياة النبي محمد (ص) في ثوب جميل من الشعر ويسرد فيه الأحداث التي جرت طيلة حياة النبي(ص). إن دراسة هذا الديوان تُظهر لنا أن الشاعر استقى كثيراً من المعاني من القرآن الكريم وقد حاول بذلك أن يخطو خطوة كبيرة للرقيّ بشعره.

خليفة البحث:

الكتب والمقالات والآثار حول حياة احمد محرم وتاليفاته وأشعاره ليست كثيرة ولكنها مع ذلك موضع اهتمام، منها:

-كتاب **الشاعر أحمد محرم دراسة فى حياته و شعره** لمصطفى الفار، عمان- اردن، مطبعة الروزنا، ٢٠٠٧م.

- كتاب **صوت الإسلام الصارخ- احمد محرم** لمحمد رجب البيومي.

- مقالة«**الشاعر العظيم احمد محرم- في غربته**» محب الدين الخطيب، الفتح، العدد ٨٢٥، شعبان ١٣٦٤ هـ .ق.

- مقالة «**احمد محرم ومكانته بين شعراء جيله**» حسن كامل الصيرفي، المجلة، العدد١٢، جمادى الأول ١٣٧٧هـ. ق.

- مقالة «**الإلياذة الإسلامية أو ديوان مجد الإسلام**» محمد بدير حلمي، منبر الإسلام، مسلسل ٢٣، العدد ١٠، شوال ١٣٨٥هـ. ق.

- مقالة «**احمد محرم**» عبدالحفيظ نصار، الرسالة، العدد٦٢٦، ٢٢ رجب ١٣٦٤ هـ. ق.

- مقالة«**الشاعر أحمد حسن عبدالله (أحمد محرم) -شعره الإسلامى-** » أ.م.د عبدالله فتحى الظاهر، مجلة كلية العلوم الإسلامية، المجلد السادس، العدد ١٢، ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢ م.

أسئلة البحث:

- ما هو سبب اِتجاه أحمد محرم إلى المضامين الدينية؟
- ما هي التعاليم الدينية في شعر أحمد محرم؟

حياة أحمد محرم

«ولد أحمد بن حسن عبد الله (المعروف بأحمد محرم) في القاهرة، يوم السبت للخامس من المحرم سنة ١٢٩٤ هـ.ق الموافق للعشرين من يناير (كانون الثانى) ١٨٧٧م».

يغلب الظن أنّ أباه لقّبه هذا اللقب لمولده في شهر «المحرم» ومما يقوى هذا الظن في نفوسنا أن محرما كان له شقيق أكبر منه توفى ورثاه في ديوانه الأول وكان إسمه «محمود صفر» وأغلب الظن أن أباه أضاف إليه هذا اللقب لمولده في شهر صفر العربي ولعلنا نأخذ من هذه الإضافة في أسماء البنين دليلاً على تعلق الوالد بالعرب وحبه لتاريخهم.

والد أحمد محرم، حسن أفندى عبد الله، كان رجلا مستعرباً متديناً، يحب العرب ويتعلق بتاريخهم ويتمسك بمبادىء الدين، محبا للقراءة، شغوفا بالأدب، مصاحبا لأهله من شعراء وكتّاب ويشارك في مجالسهم. فأورث إبنه هذه النزعة ونَمَى فيه حبّ الكتب والتطلع إلى الكتابة في سنٍّ مبكرة.

شبّ أحمد محرم في بيت والده ثمّ رحل مع والده إلى الحوشة، حيث كان والده مشرفاً على إدارة إحدى المزارع الواسعة لأحد الملاك الكبار. هذه القرية الجميلة القائمة وسط المزارع تترامى من ورائها الصحارى. مع ذلك لم تقيده بيئته وعاش وفكر في آفاق أخرى وراء أفق بيئته ومعارفه. إذ كان يتردد على مدينة دمنهور فيقرأ فيها الصحف، يشتري منها الكتب ويسمع منها الأخبار التي لا تحملها إليه الصحف والكتب.

إستحضر والده معلمين يحفظانه القرآن والشعر ويعلمانه قواعد النحو واللغة، وهذا كل ما تلقى من تعليم عن طريق المعلمين. ثمّ ألحقه أبوه بإحدى مدارس القاهرة، وكان التعليم فيها يومئذ وقفا على أبناء الطبقة الموسرة. غير أن مناهج الدراسة فيها لم تصادف قبولا من نفس محرم، فأعلن تبرمه بها، فنقله أبوه إلى مدرسة أخرى إلّا أنّ محرما الذي طبعت نفسه على حبّ العربية من صغره وتعلقت بأدبها مبكرا لم يستسغ منهجا دراسيا يرى نفسه فيه غريبا على العربية. فبعث لأبيه بقصيدة يشكو له فيها ما يعانيه ويصور ألم الغربة في نفسه وهو يومئذ لم يتجاوز الخامسة عشرة من عمره. فما كان من أبيه إلا أن أعاده إلى القرية وأحضره بعض الأساتذة الأزهر يلقنونه فقه اللغة العربية وآدبها.

حسن أفندي كان يكافيء ولده الأثير لديه بنصف جنيه مصري عن كل معلقة يحفظها وحفظ الصغير المعلقات السبع ومضى من ثم يدرس فى تؤدة وعناية الشعر الجاهلي ويحفظ منه أفخم ما فيه، ثم أشعار المخضرمين فالشعر الإسلامى في مختلف عصوره وأقطاره حتى وصل إلى شاعر عصره محمد سامي البارودي.

مات والد أحمد محرم بالقاهره سنة ١٣٣٨ هـ فرثاه محرم بقصيدة طويلة. فلما مات أبوه ولفحته قسوة الحياة من حوله أدرك أن قصائده لم تستطع أن تنفعه في شدته.

كان إنتقال الشاعر إلى دمنهور بعد وفاة والده طالبا للعيش الهادىء فيها وليس لديه رأس المال في ذلك البلد التجاري غير الشعر والتقوى. هي مدينة جميلة ما في ذلك شك، لها تقاليدها الإسلامية العريقة ومساجدها العامرة دائما ولكنها مع هذا لا تقدر غير أصحاب العقليات الزراعية من ملاك الزراع الواسعة وأصحاب المواهب التجارية

في تجارة القطن التقليدية وأصحاب محالج الأقطان وإن كانوا أكياسا للغباوة والمال معا. محرم كان غريبا في هذه البلد وكان مثالا لحظ الأديب النكد. لا في دمنهور وحدها بل في مصر جميعها. و لكنه إستطاع أن يبني بيتا صغيرا. عرفته في تلك الفترة صحف أخرى ومجلات كالهلال، والمقتطف، والبلاغ، والأهرام وغيرها وإستطاع أن يجد له معاشا ضئيلا من التكسب بالنشر والكتابة والقيام ببعض أعمال صحفية صغيرة لبعض الصحف الكبيرة. قدرته جماعة (آبولو) التي كان يرأسها المرحوم شوقى والدكتور أبوشادى. فكان لا يخلو عدد من أعداد مجلتها من قصيدة له.كانت تطلب منه الهيئات العربية والجمعيات الإسلامية قصائد لحفلاتها. قد طلب منه كثيراً قصائد لمناسبات شخصية أو سياسية تخالف مبادئه أو آراءه، فما رضى لقلمه أن يرخص ولا لشعره أن يهون برغم سخاء الطالبين وأمانيهم وشدة حاجته.

«كان أحمد محرم شاعراً في الطبقة الأولى من شعراء جيله، كان إمتداداً لمدرسة البارودي التي أعادت للشعر العربي بعد تدهوره إشراقاً في الديباجة، جزالة في اللفظ وقوة في الأداء، نقاء في العبارة، براعة في التعبير وتأثرا بالمتقدمين من أساتذة الشعر العربي في أزهى عصوره». إن أهم أسباب التعمية عنه وعن أمثاله من الأدباء والمفكرين، منهجه الذي لم ينافق فيه أو يتزلف أو يقل فيما لا يؤمن فيه كما كان يفعله بعض معاصريه «ومن أسباب ضياع اسمه وكثير من آثاره وشعره مواقفه من بعض زعماء السياسة والحكم الذين توالوا على تصريف شؤون البلاد في النصف الأول من القرن العشرين، فقد كان محرم يرى فيهم طلاب مطامع يتقاتلون على المناصب ويسعون إلى المجد الشخصي من غير إيمان بقضية الوطن ولا تضحية في سبيلها ، بل يتخذونها سبيلاً لتحقيق مآربهم ومعبراً ينفذون منه إلى أغراضهم ...وكان لعلو نفس الرجل وترفعه وإبائه رفضه مقابلة أي وزير أو تحية أي زعيم طمعا في منصب أو جاه ، بل سخر ممن طلب إليه ذلك وهو في أقسى حالات الضنك وأشدها.»

«توفى محرم في يوم الأربعاء بتاريخ ١٣ يونيو سنة ١٩٤٥م. مات محرم على الفراش الفقر والشقاء وفي قلبه حسرات على جهده الأدبي الذي أراق في سبيله ماء الحياة وأذبل نضارة الشباب بعدما ظل نصف قرن يحمل القلم وينهج للناس سبيل المجد وهكذا ظل محرم وفياً لفنه حتى ودع الحياة».

تأليفات أحمد محرم

– ديوان مجد الإسلام أو الإلياذة الإسلامية

اتجه أحمد محرم في بدء حياته الأدبية إلى إيقاظ الشعور الديني في العالم الإسلامى، والتذكير، بماضي الإسلام والعروبة مشيداً بمناقب السلف الصالح، وفضائل العهد الأول عهد النهضة الإسلامية الكبرى التي وضع أساسها رسول الله (ص). ومن هذه الكلمات التي ترددت في هذا الديوان التي يحظى بها: «الله» تكررت مائة وثماني وستين مرة، و«الدعوة الإسلامية» مائة وتسع وأربعون مرة، «الرسول» مائة وتسع وثلاثون مرة، «صلاة» مائة وثماني وعشرون مرة، «التقوى» مائة وسبع وثلاثون مرة، «الجهاد» خمس وستون مرة و.... .ومن هنا نلاحظ

أن ترداد هذه الكلمات على هذا النحو الكبير يدل على اهتمام من الشاعر بالدعوة الإسلامية التي تضمنها ديوان مجدالإسلام للوقوف على أمجاد الإسلام وقد سار محرم على نحو متدرج ومناسب للحوادث الإسلامية زمنياً لايغفل عن صغيرة ولا كبيرة في شعره يعرفها، إلّا وأوردها في ديوانه هذا. استعرض محرم في هذا الديوان كل ما حدث للنبي (ص) من معارضة قريش وايذائها للمومنين، ومن جهاد في سبيل الله ومن... ومعاناة لرفع كلمة الحق وإخماد الباطل والفساد وتحدث عن هجرة الرسول وأصحابه وعن الأنصار واستقبالهم للمهاجرين وأشاد بالأخوة العربية الصادقة التي وثقت عرى المحبة بين الناس وجمعت حول كتاب الله ورسوله ودينه، فكان من جراء ذلك انتصارات رائعة وأمجاد، وإحلال الإيمان محل الكفر، وللنظام عن الفوضى وللوحدة محل التنابذ والتفكك، وللرقيّ محل التخلف وللعلم محل الجهل. الأستاذ محب الدين الخطيب– صاحب مجلة الفتح– وهو الذي بعث يقترح على الشاعر أحمد محرم فكرة ديوان مجد الإسلام ودعاه إلى الاضطلاع بهذه المهمة.

تمكن الباحث والمحقق محمد ابراهيم الجيوشي من إصدار هذا الديوان في طبعته الأولى عام ١٩٦٣بتكليف من مكتبة دارالعروبة التي طبعته على نفقتها وقام الأستاذ الجيوشي بالإشراف على تصحيحه ومراجعته، وصدرت الطبعة الثانية من الديوان تحت عنوان «مجدالإسلام» حيث تولت مكتبة الفلاح بالكويت طباعته وكان ذلك عام ١٩٨٢.

– ديوان أقصى الحزين

هذا الديوان مجموعة شعرية خاصة بفلسطين وصدر عن مكتبة الفلاح بالكويت، الطبعة الأولى، سنة ١٩٨٤ وعدد صفحاته ٩٤ صفحه وعدد قصائد تسع قصائد.

– الدواوين الخمسة:

الجزء الأول: المجلد الأول: السياسيات

الجزء الأول: المجلد الثانى: السياسيات

الجزء الثاني: الإجتماعيات والمراثي

الجزء الثالث: الخواطر والتأملات والمساجلات

الجزء الرابع: الإخوانيات والتحايا والتهاني

الجزء الخامس: الطبيعة والوصف والغزل

هذه الدواوين الخمسة صدرت عن مكتبة الفلاح بالكويت عام ١٩٨٨ وقد جمعها وشرحها وعمل على تبويبها وتاريخها ولده محمود أحمد محرم.

–أبحاثه النقدية:

أما أبحاثه النقدية فهي على سبيل المثال لا الحصر:

-نشر في مجلة أبولو «نقد الشاعر السيد توفيق البكري»، و«نقد الشاعر إسماعيل صبر»، و«نقد الشاعر حافظ ابراهيم».

-نشرت في مجلة أنيس الجليس عام ١٨٩٩م «آراء في تعليم المرأة وتربيتها».

-نشر بجريدة (الصدق) «بحث في الشعر الباكي في الأدب العربي». و ... .

رأي النُقّاد والأدباء حول أحمد محرم

لقد برز من الأدبا والنقاد في عصرنا الجديدة من قدر شاعرية أحمد محرم من أمثال خليل مطران الذي كان ينعت أحمد محرم «بشاعر العربية الفحل وأديبها الكبير».

يقول ولي الدين يكن: «أحمد محرم في شعره نسيج وحده، وهو أقرب الشعراء المعاصرين ديباجة من شعراء العرب ومازال يعاني ذلك في أول أمره معاناة حتى ملكه اليوم وصار ملكة في طبعه وليس في طبع الشعراء طبع أدل من طبعه وطبع حافظ إبراهيم على جودة الألفاظ وكما أن خليل مطران فاق النظراء بل فاق كثيراً من القدماء في معانيه، فكذلك أحمد محرم وحافظ إبراهيم فاق النظراء بل فاقا كثيراً من القدماء في ألفاظهما وتراكيبها وأقرب وصف في هذا الباب أن يقال: أنّ خليلا أبلغ شعراء زماننا، وأنّ محرما وحافظا أفصحهم».

أحمد محرم برز في الحياة العامة في حدود العشرين من عمره شاعرا، مقتدرا، ناضجا. يصفق له منشىء الحركة الوطنية المصرية مصطفى كامل ويسميه «نابغة البحيرة».

محب الدين الخطيب يقول فيه: «كان بيان أحمد محرم رصين البنيان، ناصع الديباجة، شريف الأغراض، سرى المعاني، زاخر بروائع البدائع في كل ضرب من ضروب القول المعجز وعاش ما عاش في الأوائل من أمراء البيان وفي الممتازين من شعراء الجيل، فكان من حقه على أمته أن تعرف له قدر هذه المواهب وأن تضعه في الموضع اللائق بها».

قد نوّه الشاعر حسن كامل الصيرفي بعبقريته فقال:«إنّي لأقرأ البيت من شعر محرم فأحس كأنّ صدى أنغام عذبة تطوف على خاطري في حلم جميل».

رأى النُقّاد حول ديوان مجدالإسلام

«الغرض من القيام بهذا العمل تمجيد بطولة الإسلام وتسجيل مفاخره، مواقف رجاله تمجيدا صادقا، قائما على الحقائق الثابتة النقيه من الأساطير والخرافات، حتى تكون معينا صافيا، وموردا عذبا للشباب يتمثلون فيه بطولة أجدادهم، ومفاخر دينهم، فتنهض هممهم، وتقوى عزائهم، ويعتزون بتاريخهم، ويتغنون بماضيهم، كما يتغنى اليونان بإلياذة هوميروس والفرس بشاهنامه الفردوسى».

يقول صلاح الدين محمد عبد التواب في ديوان مجد الإسلام: «وإذا كانت الأمثله كثيرة في عصرنا الحديث، تلك التي توكد أن أدب الدعوة الإسلامية إلى وقتنا هذا لم يمت ولن يموت ما بقيت رسالة الاسلام ودعوته، فإن المثل الذي بين أيدينا جدير بالإشادة و التقدير لإنّه يبعث على الأمل ويوكد أنّ نور الله لا يمكن أبدا أن ينطفي من

القلوب. إنه ديوان (مجد الإسلام) للشاعر المسلم أحمد محرم، الذي شاء الله لمؤلفه أن ينظمه ليستعيد شباب الامة أمجاد أسلافهم ثم ليكونوا إمتدادا من بعد أولئك السالفين».

يقول عبد الحفيظ نصار: «وقد نظم أحمد محرم في حياته الأخيرة إلياذته الإسلامية التي عارض بها الإلياذة هوميروس، وهي مجهود شعري ضخم يقع في عدة آلاف من أبيات الشعر العربي الرائع يعرض فيه للتاريخ الإسلامي غزواته وحروبه فهو ملحمة إسلامية لا نظير لها في الأدب العربي .... والإلياذة مهملة في أركانها لم يبت في أمرها حتى الآن برغم مضي الأعوام ومضي صاحبها».

يقول الحلواني صاحب السمو الروحي في الأدب الصوفي:«أحد شعراء العربية الفحول ذوي الباع الطويل في الشعر وعلوم العربية شهد له أعلام الأدب في هذا العصر إنه ثالث ثلاثة: أحمد شوقي بك وحافظ بك إبراهيم وأحمد محرم». وهو يصف ملحمته هذه بأنها «درة اليتيمة في الأدب العربي».

يقول أستاذ حلمي محمد بدير: «نيف وخمسة آلاف بيت من الشعر الموزون المقفى قوام هذه الإلياذة الإسلامية، وهو حدث لم يشهده تاريخ الشعر العربي، وقلما وجدنا غيره يصل إلى مائة بيت أو مائتين، على أكثر تقدير وليس الأمر بذي أهمية فقط لطولها، وإنما لموضوعها الذي يعد من أهم الموضوعات الشعرية التي طرقها الشعراء المحدثون».

دراسة المضامين الدينية في شعر أحمد محرم

مبعث النبي (ص)

إِملَاءِ الأَرضَ يَا مُحَمّدُ نُورَا وَ اغمُرِ النَّاسَ حِكمَةً وَ الدُّهُورَا

عَبَّ سيلُ الفِسَادِ فِي كلِّ وَادٍ فَتَدَفَّقْ عَلَيهِ حَتَّى يَغُورَا

يُنقِذُ العَالَمَ الغَرِيقَ وَ يَحمِي أُمَمَ الأَرضِ أَن تَذُوقَ الثُّبُورا

يبدأ احمد محرم ديوانه بحمد الله والثناء على دين الإسلام وفضله على الناس وتعاليمه التي تُرقي حياة الإنسان. لا شك أن الناس كانت تعيش في غياهب الجهل؛ الشاعر استخدم هذه الحقائق للتعبير عن نور الرسالة الإسلامية التي تسعى لكمال الإنسان وكذلك أشار إلى تعاليم القرآن الكريم التي بلَّغها النبي الكريم (ص) للناس وقد أحدثت نوراً في تلك العتمة. نرى هذا المعنى في كثير من الآيات والأحاديث الشريفة كآية ١٥ من سورة المائدة المباركة:(قَدْ جاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَ كِتابٌ مُبِينٌ) وفي التالي يأتي بتعبير بليغ مخاطباً فيه النبي (ص) طالباً منه أن يأتي ليُنقذ البشرية

من وحول الفساد والهلاك ويحرر الإنسان من عبودية غير الله وهذا المعني استلهمه الشاعر من الآية ١٥٧ من سورة الأعراف المباركة: (يَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَ الأَغْلالَ الَّتي كانَتْ عَلَيْهِمْ).

المسجد والصلاة

مِعقلٌ يَعصِمُ النُفُوسَ و يَأبى أنْ يميلَ الهَوى بها أو يَجورا

أوصِها بالصَّلاة فهي عِلاجٌ أو سياجٌ يَذودُ عَنها الشُّرورا

يشير الشاعر في هذين البيتين إلى أهمية المسجد والصلاة واهميتهما السامية وقد شبّه المسجد بحصن منيع يحفظ الانسان تجاه الأهواء والأميال. وبالتالي يعبر عن الصلاة بأنها تزيل الأمراض الروحية والنفسية من الإنسان.وقد ثبت في البحوث الدينية والعلمية أن الصلاة كنز سرمدي وفيها شفاء لكثير من الأمراض والخلل الروحية كالإكتئاب والارتباك والوسواس. في الأبيات التالية الشاعر يشبه الصلاة بجدار يقف كحاجز أمام الذنوب والسيئات. آية ٤٥ من سورة القرآن أشارت إلى دور الصلاة في النهي عن الفحشاء والمنكر:(إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ).

عمار بن ياسر

أ رأيت إبنَ ياسرِ كيفَ يَبني؟ أرأيت المشَيَّعَ الشميرا

عَمّار أنتَ لَها، و ليسَ ببالغ عُليا المراتبِ مَن يَكلُّ و يَكسِلُ

إن يَثقَلِ العِبء الذي حَمَلتَه فلمّا يُحمَّل ذو التَّباعة أثقلُ

يشير الشاعر هنا إلى عمار بن ياسر صحابي النبي (ص) الوفي والذي ساعد كثيراً في بناء المسجد النبوي ويراه الشاعر جديراً بفخر المشاركة في تشييد مسجد النبي (ص). وفي البيت الثالث يشير إلى القصة المعروفة في مصادر الشيعة والسنة حيث كان عمار بن ياسر شاباً قوياً يحمل عدداً من الحجارة لبناء جدار المسجد. بعض الناس استغل بساطته واخلاصه فحمّلوه اكثر مما يُطاق وقال عمار إني أحمل واحدة لي والأخرى احملها عن النبي (ص).

أمر بالجهاد

الإذنُ جاءَ فقُل لِقُومِك أقبِلُوا بالبيضِ تَبرَقُ والصوافنُ تَضبَحُ

أفَيطمَعُ الكفّارُ ألا يُؤخَذوا؟ بَل غَرَّهُم حِلمٌ يَمُدُّ ويَفسَحُ

يشير الشاعر أحمد محرم في عبارة «الإذن جاء» إلى آيه ٣٩ من سورة الحج: (أُذِنَ لِلَّذينَ يُقاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَ إِنَّ اللَّهَ عَلى نَصْرِهِمْ لَقَدير)؛ الآية التي تأذن للنبى بأول جهاد في الأسلام. ثم في التالي يأتي بذكر السيوف القاطعة المصقولة والخيل المستعدة للحرب ليُعلن استعداد المسلمين للجهاد. يعتقد الشاعر أن الكافرين بسبب صبر النبى (ص) وتسامحه ستمضي الأمور على هذه الوتيرة ولم يصل يوم المحاسبة لأجل أعمالهم السيئة.

إمداد في غزوة البدر

هي حَفنَةٌ للمشركينَ من الحَصى خَفَّ الوقورُ لها وطاشَ المِرْجَحُ

مِثلُ الثَّميلةِ من مُجاجةِ نافثٍ وكأنّما هي صَيِّبٌ يَتبذَّحُ

يشير احمد محرم في هذا المقطع إلى نعمة أخرى من نعم الله ونراه يقتبس المعنى من آية ٨ من سورة الأنفال حيث أن النبى (ص) ألقى الرعب في قلوب الكافرين بحفنة من الحصى وقد عبّر الشاعر عن فرارهم وتشتتهم بعبارات ساخرة حيث يشبههم ببقايا المجاجة. وأشار القرآن الكريم إلى هذا الإمداد الإلهى في الآية الثامنة من سورة الأنفال المباركة:(وَ ما رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَ لكِنَّ اللَّه رَمى). يأتي سرد الرواية أن معركة بدر بدأت بمقارعة الأقران فرداً فرداً وبعدها جاء الزحف العام عندها أخذ النبي حفنة من الحصى ورماها على المشركين وقال: «شاهت الوجوه! اللهم املأ قلوبهم رعباً وزلزل اقدامهم». عندئذٍ لاذ أعداء الله بالفرار وقد تبعهم المسلمين وعملوا فيهم القتل والأسر. لم يكن منهم أحدٌ إلا وقد مُلِئت عينيه ووجهه بالتراب ولم يعرف إلى أيّ جهة يهرب.

روائد الجهاد

هذا عليٌّ في اللواءِ ، و مُصعبٌ والنَصرُ في عِطْفَيْهِما يَتَرنّح

حَملا لِوَائيْهِ، فَلَو صَدَحَ الهُدى فى مَشهدٍ جَلَلٍ لأقبَلَ يَصدَحُ

يشير الشاعر هنا إلى حاملي لواء المسلمين في غزوة بدر وهما الإمام (ع) و مصعب بن عمير. هنا عقد النبى (ص) الرايات لأنه عند خروجه من المدينة لم يحمل معه رايات. أعطى الراية بيد علي بن ابي طالب (ع) وأعطى راية المهاجرين بيد مصعب بن عمير وراية الأنصار جعلها في يد أحدهم. الشاعر السنى، مدح هذين الرجلين مشيراً إلى هذه الواقعة وقد رأى أن ذروة النصر ستحصل مع هذين القائدين وقد تكلّم عن نصرتهما للنبى (ص) في جميع الأحوال. لا يخفى على أحد أن الإمام علي (ع) نصر النبى (ص) طيلة ٢٣ سنة في رسالته في جميع المشاهد. ومصعب بن عمير من صحابة النبى (ص) و قد شهد معركة بدر واستشهد في غزوة أحد.

شجاعة الإمام على (ع) في معركة أحد

ألا بُعداً لِطَلحَة حِينَ يَهذِي فَيَأخُذُهُ عَليٌّ شرّ أخذ

أُصيبَ بِقسوىّ البَأس فَذٍّ يُعدُّ لِكلِّ طاغِي النَفسِ مُؤْذ

يُعالِج داءَهُ حَتّى يَزُولا

في بداية معركة أحد جاء طلحة بن أبي طلحة ينادي ويقول: «يا أصحاب محمد! إنكم تقولون أنَّ قتلانا في النار وقتلاكم في الجنة؛ هل من يأتي لمبارزتي فأرسله إلى الجنة أو يُرسلني إلى النار»؟ هنا تقدم الإمام علي (ع) وصارعه حتى قتله فهلك. مواقف بعض الصحابة معروفة جداً لدى أهل السِيَر في معركة أحد ومن أبرزهم الإمام على (ع) الذي ضحّى كثيراً لأجل الدين وقد أبدى شجاعة فائقة في القتال إلى جنب النبى (ص) وحراسته أمام حملات المشركين المتكررة. وقد أشار أحمد محرم لهذه المواقف الشجاعة بأسلوبه القصصي. يشبّه الشاعر الإمام علي (ع) بأسد لا مثيل له وقد قارع أبطال المشركين من أمثال طلحة بن أبي طلحة بشجاعة فائقة وأهلكهم. جدير بالذكر أن تضحيات الإمام علي (ع) يوم أحد كانت لافتة جداً حتى سُمع نداءٌ من السماء: «لا سيفَ إلا ذوالفقار و لا فَتَى إلّا عَلى».

أكذوبة قتل النبي في معركة أحد

كذلِك ظَنَّ القَومُ إذْ طَاح مُصْعَبُ فَرَاحُوا سُكارَى يَكثُرُون الدَعَاوِيَا

وَ رِيعَتْ قُلُوبُ المُؤمِنينَ فَأَجْفَلُوا يَخَافُونَ مِنْ بَعدِ النَّبيِّ الدَوَاهِيا

في معركة أحد عندما هجم إبن قميئة على مصعب بن عمير وقتله، تصوّر أنّه النبي (ص) بسبب شبهه بالنبي (ص) فلذا نادى أن محمداً قد قُتل. هذا النداء جعل المشركين يشتدّون على المسليمن وقد زاد من جرأتهم ولم يتمكن المسلمين من التماسك ولم الشتات فلاذوا بالفرار. أشارَ الشاعر إلى أكذوبة قتل النبي (ص) وقد عبّر عنها بلفظة «دعاوي» حيث تشير إلى كذب هذا الزعم والذي سبّب تشتت قلوب المسلمين. في الحقيقة إن نشر الأكاذيب والدعايات الكاذبة في ساحات القتال غالباً تؤثر في نزول نفسية المجاهدين وقد استخدم هذه الحيلة المشركين بنشر دعاية قتل النبى (ص) في معركة أحد. بسبب نشر هذه الدعاية فكر بعضهم بالعودة إلى عبادة الأصنام وقد عاتب الله سبحانه وتعالى المسلمين في سورة آل عمران آيه ١٤٤ وقال سبحانه: (وَما مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَ فَإِنْ ماتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلى أَعْقابِكمْ وَ مَنْ يَنْقَلِبْ عَلى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وَ سَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ (**آخر لقاء النبي)ص (بعمه**

يَا رَسُولَ اللهِ –هذا حَمزةُ أتَرَى عَينَاك مِنهُ المَصرَعَا؟

إنَّهُ عَمُّك إلّا أُذُناً– قَطَعَتْ مِنهُ وَ أنْفاً جَدَعَا

إنَّه عَمُّك فَانْظُرْ بَطْنَهُ كيْفَ شَقُّوهُ، وَ عَاثُوا فِي المَعَى؟

يتكلم الشاعر في هذا المقطع عن آخر لقاء جمع النبى (ص) بعمه حمزة. عندما جاء النبي (ص) على جثمان حمزة ورأى حالته المزرية أقسم بأن يُمثِّل بالمشركين إذا نال منهم. وقد جاء في الروايات ان النبي خاطب الله سبحانه وتعالى قائلاً: «اللهمَّ لَكَ الحَمدُ وإليكَ المُشتَكَى وأنتَ المُستَعَانُ عَلَى مَا أرَى لَئِن ظَفَرتُ لأُمَثِّلَنَّ ولأُمَثِّلَنَّ ولأُمَثِّلَنَّ».عندها نزلت آيه ١٢٦ من سورة النحل ونهى الله سبحانه المسلمين عن هذا العمل: .(وَ إِنْ عاقَبْتُمْ فَعاقِبُوا بِمِثْلِ ما عُوقِبْتُمْ بِهِ وَ لَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ)، وقال النبي (ص): «أصبرُ، أصبِرُ».

دناءة أبي سفيان

وَ أَبُوسُفْيَان مَاذَا هَاجَهُ؟ أَفَمَا يَزْمَعُ أَنْ يَرْتَدِعَا

غَرَّهُ فِي يُومِهِ مَا غَرَّهُ إِنَّ عِندَ الغَدِ سِرّاً مُودَعَا

يَطْعَنُ اللَّيثَ و يَفرِي شِدْقَهُ حِينَ أَلْقَى جنبه فَاضْطَجَعَا

لَوْ رَآهُ يَتَحَدَّى نَفْسَهُ لَرَآهَا كيْفَ تَهْوَى قَطَعَا

كان عدد من المشركين يحاولون التشفّى بأجساد شهداء الإسلام ويقومون بتصرفات لم يتمكنوا من القيام بها عندما كان هؤلاء الشهداء أحياءً وقد تحدّث الشاعر عن عمل مشين أخر من المشركين والذى زاد صفحة سوداء في تاريخهم القاتم وهو ما قام به أبوسفيان بعد استشهاد حمزة بن عبدالمطلب وقد روى «أن حليس بن زبان كان على رأس جماعة من أهل مكة قد جاؤوا مع قريش للقتال وبعد انتهاء الحرب رأى أباسفيان واقفاً على جثمان حمزة ويضرب شدق حمزة برمحه ويقول: ذق الموت يا من قطعتَ بقومك وقبيلتك وقتلتَهم. قد رأى حليس هذا العمل من رجل يزعم بأنه رئيس القوم فصاح: يا بني كنانة إن هذا الرجل يزعم بأنه سيد قريش، انظروا كيف يفعل بإبن عمه القتيل؟ عندها عرف ابوسفيان مدى فداحة ما به فقال لحليس: أسكت، إنها فلتة، اكتمها عليّ».

غزوة حمراء الأسد

نَفَرَ القَومُ خِفَافَاً، مَا وَنَى مِنهُمُ الجَرحَى، وَ لَا استَعفَى أَحَدُ

من غزوات النبي والتي حدثت في العام الثالث الهجري بعد غزوة أحد بيوم واحد. كان غرض النبي من هذه الغزوة منع المشركين من عودتهم للهجوم على المدينة المنورة. تجدر الإشارة أنّ أصحاب النبي الأوفياء تهَيَّأوا للحرب بالرغم من الجراحات الكثيرة التي كانت على أبدانهم. يشير أحمد محرم في هذه الأبيات إلى الرجال المجروحين الذين استعدوا لغزوة حمراء الأسد بالرغم من ضعفهم.

استلهم الشاعر معني هذا البيت من آيه ١٧٢ من سورة آل عمران. جاء في القرآن الكريم عن المجروحين في معركة أحد وإجابة دعاء الله والنبى (ص): (الَّذِينَ اسْتَجابُوا لِلَّهِ وَ الرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ ما أَصابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَ اتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ)

التوحيد

إلهُ النّاسِ فَردٌ لا يُثَنَّى تَأَمَّل خَلقَهُ إنساً وجِنّا

فَلَن تَجِد الشَريك وَ لَا المَثيلا

يقتبس أحمد محرم الآيات القرآنية والحديث النبوي الشريف في بداية البعثة النبوية مشيراً إلى المحاور الأصلية في المعتقدات الإسلامية وأهمها التوحيد. حسب ما نقله المؤرخون أن النبي بدأ الدعوة العلنية للناس بهذا الحديث

«قُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ تُفْلِحُوا».وقد جاء هذا المعنى في كثير من آيات القرآن كآية ١٦٣ من سورة البقرة وآية ١١١ من سورة الإسراء. (وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ) (بقره/١٦٣) (وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا) (اسراء/١١١)

طمأنينة، ثمرة العبودية الخالصة

قُلِ الحقَّ ما لِلعالمينَ سَكينةٌ عَلَى الأرضِ حَتّى يَعبُدُوا الواحدَ الفَردا

إنّ هذه الدنيا المادية الفانية مليئة بكثير من المعاناة والمشكلات فكل إنسان يواجه في حياته أحداث كثيرة. من هذه الجهة أهم ما يملكه الإنسان في هذه المخاطر، هو السكينة القلبية والهدوء النفسي الداخلي وهذا ما يحتاجه الإنسان وهذه السكينة والطمأنينة تأتي بالإخلاص في عبادة الله سبحانه وتعالى. قال الله سبحانه وتعالى في آيه ٢٨ من سورة الرعد: (أَلا بِذِكرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ القُلُوبُ) تؤكد هذه الآية للناس أن الوصول للإطمئنان الحقيقى سيحصل في ظل ذكر الله وبعبارة أخرى عبودية الله سبحانه وتعالى.

أهم النتائج التي توصل إليها البحث:

- عنى أحمد محرم عناية خاصة بالقرآن الكريم والدراسات الدينية والأدبية والتأثّر بها والإخلاص والمحبّة إلى شخص النبي والسيرة النبوية، والظروف المتأزمة الثقافية والإجتماعية في مصر جعلته يتجه نحو نبش التراث الإسلامى المتمثل برسول الله(ص). في النهاية تشجيع محب الدين خطيب على نظم المفاخر الإسلامية كلها كانت من أسباب اندفاع الشاعر واستلهامه الفكري حتى أدت إلى نظم ديوان مجد الإسلام الفاخر.
- أشعار أحمد محرم موسوعة إسلامية أنصفت الصحابة الصالح منهم والطالح، وصوّرهم دون غلوّ، فصوّر أباسفيان ومافعلوه بعم النبي حمزة عليه السلام كما صوّر بطولات أمير المؤمنين علي عليه السلام.
- شعر أحمد محرم مدعاة إلى الوحدة الإسلامية وكان يذكر أمجاد الإسلام بُغية الرجوع إلى المفاهيم الصحيحة الإسلامية.
- كانت الغاية الأصلية من نزوع أحمد محرم نحو المضامين الدينية ونظم ديوان مجد الإسلام، إحياء مجد الإسلام وعظمته، إلقائه إلى المسلمين وتسجيل المفاخر الإسلامية.

- بما أنّ لدى أحمد محرم معرفة جيدة بالقرآن الكريم ومعانيه ومفاهيمه وكذلك لديه إلمام بالحديث النبوي الشريف فبإمكاننا ملاحظة أبيات متعددة مستلهمة من القرآن وهناك أبيات جاءت فيها عبارات من القرآن بعينها وفي قسم من الأبيات يتحدّث الشاعر عن المفاهيم الدينية بألفاظ وعبارات يختارها الشاعر بذاته. كان عمل الشاعر موفقاً في توظيف المضامين الدينية فإنّ شعره يمتاز بقوة ومصداقية عالية.

- يشير أحمد محرم في أشعاره إلى التعاليم الدينية منها: التوحيد، ومبعث النبي (ص) وسعيه في مسير الرسالة، وغزوات النبي(ص)، والإيمان والجهاد في طريق الحق ، والهداية والإعانة الإلهية، وتغلّب الحق على الباطل، وعاقبة المؤمنين و المشركين و... .

الهوامش: